موقف اللغويين القدماء من اللهجات

م.م. كاظم فضيل شاهر
جامعة القادسية – كلية التربية

خلاصة البحث :

يتناول هذا البحث موقف اللغويين القدماء من موضوع اللهجات وقد وُزّع على ثلاثة مباحث

الاول : كان بعنوان بين اللهجات والقراءات : تناولت فيه بايجاز مسيرة الفصحى واللهجات قبل الاسلام وبعده وصولا الى المدة التي عبرت فيها القراءات عن اللهجات وعكست المستوى اللهجي ، ووقفت على رأي اللغويين ولاسيما النحويين من هذه القرأءت وقد تبين ان هؤلاء العلماء كانوا غالبا ما يعتمدون على القراءات القرانية في منهجهم الا ما يخالف ضوابطهم واقيستهم التي وضعوها فذلك ضعّفوه وردوه وكان معظمه قراءات غير متواترة

وتناول المبحث الثاني مسيرة اللغويين في تدوين اللهجات ووصفها ونسبتها الى اصحابها وبيئاتها فكان ذلك ما عرفناه عند اللغويين ولا سيما المعجمين والنحويين والادباء وممن كتب في الامثال والنوادر وغيرها ٠

واما المبحث الثالث فمثل مطلب البحث الرئيس وبغيته التي سعى الى تحقيقها ، اذ عكس مواقف اللغوين من اللهجات بعد وصفها مشفوعا بالتحليل والتعليل والترجيح والمقايسة التي غلبت على معظم مباحثه والله المستعان ٠

المقدمة :

يتناول هذا البحث موضوعا قيما من مواضيع العربية هو موقف اللغويين القدماء من قضية اللهجات .

فلقد شرع الباحث باستقراء طائفة من المظان التي تناولت هذا الموضوع من مصادر لغوية متخصصة او مراجع عرضت له في ثنايا المادة اللغوية التي عالجتها فكانت المعجمات العامة والخاصة وكتب اللغات والنحو والقراءات والتفسير ومعاني القرآن الى جانب كتب النوادر والامثال من روافد هذا البحث مع الاعتماد على بعض الرسائل العلمية التي تخصصت بدراسة اللهجات والكتب اللغوية الحديثة التي أفادت البحث خير فائدة في تناولها لهذه المادة العلمية موضوع البحث .

وبعد الدراسة والاستقراء لمفردات هذا البحث استقرت النية ان يتوزع البحث على ثلاثة مباحث :

الأول : بين اللهجات والقراءات

وفي هذا المبحث تناولت اولية العربية ، اذ كان مدخلا لمعرفة لهجاتها ولا سيما في المدة التي سبقت ظهور الاسلام ، وظهور العربية المشتركة التي مثلت اكثر لغات القبائل العربية شمالية وجنوبية قبل الاسلام ثم اصلها وجذرها القرآن وحاكاها العرب خاصتهم وعامتهم وبعد ظهور الاسلام وسيادة القرآن على العربية ظهر من أنماط التخاطب اللهجية ما انحرف في نطقه عن قراءة النبي (ص) للقرآن ومن ثم ظهرت القراءات التي مثلت نمطا لهجيا في كثير من مستوياتها ، الامر الذي اثار اللغويين ولاسيما النحويين منهم للتصدي لكثير من هذه القراءات مستظلين بضوابطهم ومقاييسهم التي استنبطوها اصلا من استقراء لغة العرب ، حفاظا على اللغة التامة التي نزل بها القرآن الكريم .

الثاني : تدوين اللهجات في كتب اللغويين ونسبتها .

وفي هذا المبحث تناولت رواية اللغويين من أصحاب المعجمات وكتب اللغات والقراءات وكتب الأدب والنوادر والأمثال وكتب اللحن العامة والدلالات للهجات ونسبتها الى أماكنها وبيئاتها ، ووصفها من دون الغوص في تفصيلات أكثر ولا سيما التعليل او التحليل تاركا ذلك الى المبحث الثالث ، وبذلك يكون هذا المبحث وصفيا في جملته .

الثالث : وكان بعنوان وصف اللغويين للهجات وموقفهم منها .

وفي هذا المبحث تناولت آراء اللغويين في اللهجات وأوصافهم لها مع شيء من التعليل -احيانا- وشيء من التحليل -احيانا اخرى- ، وقد تعرض البحث الى الموازنات التي اثارها اللغويون بين لغات القبائل والى الترجيحات التي لجؤا اليها وفاقا الى ضوابطهم وقواعدهم التي اعتمدوا عليها بشيء من التفصيل والعمق والدقة وهو ما ميز الدراسة في هذا المبحث من المبحث الذي سبقه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله واصحابه المنتجبين .

المبحث الأول :

بين اللهجات والقراءات

علاقة اللهجة باللغة :هي علاقة الخاص بالعام ، واللهجة : مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي الى بيئة خاصة ، ويشترك فيها جميع افراد هذه البيئة ، وهي جزء من بيئة اكبر تضم مجموعة من اللهجات لكل منها خصائصها ، لكنها تشترك في كثير من الظواهر اللغوية التي تسهل اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما يدور بينهم من كلام فهما يعتمد على حجم الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

وعلاقة العربية بلهجاتها لا تكاد تتجاوز هذا المفهوم ، ولا طائل من الاسراف في سرد التطور التاريخي لكل من مفهومي اللغة واللهجة ، طالما تكفلت به طائفة كبيرة من المظان .

واذا اراد الباحث ان يعرف ولو على وجه التقريب اولية العربية او لهجاتها والاصل فيهما ، فانه لا يصل الى راي قاطع وتحديدا في المدة التي سبقت ظهور المسيحية ، فليس هناك نصوص تعود الى تلك العهود ، واقدم ما عثر عليه من نصوص لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي ويتمثل بالنقوش التي عثر عليها بالقرب من دمشق وحلب، التي يصر

المستشرقون على انها تمثل لغتنا العربية في العهود التي سبقت الجاهلية ولم يكن الدكتور ابراهيم انيس مقتنعا بقيمة هذه النصوص في تحديد تاريخ العربية

في هذه العهود لضحالتها ، او انها – على رأيه – لا تساوي سفرا صغيرا من اسفار العهد القديم ، الا ان تلك النصوص لم تكن المؤشر الوحيد لتأصيل العربية في هذا التاريخ بل يؤكد المستشرقون أنفسهم ان العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع الى السامية الام ، بل احتفظت بما لم تحتفظ به بقية الساميات ، ففيها نظام الاعراب الكامل ، وصيغ جموع التكسير ، وغيرها من ظواهر لغويه يصر الدراسون على انها كانت سائدة في السامية الاولى [1]

واذا ما تأملنا بعض ما يرويه علماء العربية في ان اول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها أدم (ع) قبل موته بثلاث مئة سنة ، وبعد الغرق وجد كل قوم كتابا ، فاصاب اسماعيل (ع) الكتاب العربي ، يعضده ما يروى من ان ابن عباس كان يقول : ان اول من وضع الكتاب العربي اسماعيل (ع) وضعه على لفظه ومنطقه ، وروايات آخر تكثر وتختلف يرويها كثير من علماء القرآن ، العربية [2] فان الباحث وان لم يقطع بمثل هذه المرويات لا يمكنه ان ينفيها على وجه اليقين .

ويتملك الشخص شعور بان ثمة لغة اصيلة لها كيانها وخصائصها الرصينة كانت شائعة في تلك العهود ، والا بماذا يُفسر سعي العرب وهم قبائل متناثرة على مساحة واسعة في الجزيرة وخارجها على محاكمة لغة واحدة مشتركة ولا سيما في المدة التي سبقت ظهور الاسلام ، وان تكون قريش قطب الرحى ومركز استقطاب تلك القبائل ، لبعث هذه اللغة من جديد ، هل لانها موطن اسماعيل (ع) في العهود السالفة او انها حاضنة البيت ومركز تجارة العرب واسواقهم ؟

الا ان من الواضح ان هذه اللغة لا تنتمي الى بيئة واحدة ، بل تنتمي الى معظم البيئات العربية وان كان نصيب قريش منها هو الاوفر . [3]

واذا كانت هذه اللغة قد فرضت نفسها قبيل الاسلام ، وحاكاها الشعراء والادباء بل الطبقة المثقفة انذاك وتبعتهم العامة ، فان القران الكريم جذرها وكتب لها الديمومة والابدية الى ان يشاء الله . الا ان هذه اللغة لم تكن هي هي لغة التخاطب في البيئات العربية انذاك ، بل كانت تسير معها جنبا الى جنب لهجات التخاطب المحلية ، بل ان بعضهم ولا سيما العوام

وممن دخل الإسلام من الموالي لم تكن السنتهم لتستقيم مع هذه اللغة المشتركة التي نزل بها القران الكريم ، وبهذا يفسر بعضهم الحديث المروي عن النبي (ص) بقراءة القران على سبعة احرف تيسيرا

ويبدو أن ذلك لا يعدو هذه الاختلافات في النواحي الصوتية من اختلاف لمخرج الصوت وتباين في صفته او في مواضع النبر وفي مقاييس أصوات اللين ، لان لكل شعب من الشعوب صفاته الصوتية المميزة له دون غيره وتكون جزءا مهماً مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية . [4]

وعلى هذا الاساس يمكن القول إن الاختلاف في قراءة القران وقعت في حياة النبي (ص) فمع المنهج الدقيق في توثيق النص القراني خلال التلقي والعرض ، سار الرسول (ص) مع صحابته يقرأ عليهم ويقرءون عليه ، الا ان الروايات تذكر اختلاف الصحابة في قراءة القران والنبي (ص) بين ظهرانيهم ، ولا يمكن الركون الى ما ينقل عن النبي (ص) من اختلافات في القراءات بل الراجح ان قراءة النبي (ص) كانت واحدة وان نسخ القرآن المكتوبة على عهده (ص) قد حفظت النص على حرف واحد

ولعل ما يمكن ان يضاف الى اسباب اختلاف القراءات هو ما عرف عن طبيعة المجتمع الاسلامي الاول ، اذ اخذ القران – أحيانا – بالمشافهة ثم كتب في الرقاع والعسب واللخاف والاكتاف فحصل جراء ذلك اختلاف القراءة بين الصحابة أنفسهم – كما ذكر – واشتهر نفر كثير منهم في ذلك كابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبي ومعاذ وأبي الدرداء وغيرهم . وبعد الفتوح الاسلامية خرج بعض الصحابة الى الامصار الاسلامية ، وبعضهم بتوجيه من الخلفاء لاقراء الناس القران فاختلفت قراءتهم، فاختلف الناس نتيجة ذلك ، ثم ما خلفته المصاحف العثمانية

المجموعة على حرف واحد والمحتملة ايضا لكثير من هذا الاختلاف ، لتخلف النقط والاعجام وعدم اكتمال

نضج الخط ، فكثر القراء الأئمة ، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم ، فهل كان اختلاف القراءات بسبب اختلاف اللهجات ؟

لقد علل علماء العربية والقراءات اختلاف القراءات باختلاف اللهجات ثم وضعوا ضوابط للقراءات الصحيحة منها موافقة العربية ولو بوجهوتابعهم بعض المحدثين في صحة القراءة بلهجات العرب على اختلافها ، معتبرا القراءات القرآنية هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي . (٥)

الذي كان سائدا في الجزيرة قبل الإسلام ، بل عد القراءات آصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية ، لان منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت منها المصادر الاخرى كالشعر والنثر ، بل يختلف عن طرق نقل الحديث ، لان القراءة منهجها لا يكتفي بالنقل بالسماع بل لابد من شرط التلقي والعرض ، وهي اصح الطرق في النقل اللغوي ، فائمة القراء تعمل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية لا على الاقيس ولا الافشى في العربية . فهي على هذا قريبة او ملازمة لمستوى اللهجات . ثم ان اصحاب القراءات كانوا على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها ، فكان ابن كثير اعلم بالعربية من مجاهد ، وعرف عن عاصم انه جمع الفصاحة والإتقان كما عرف عن حمزة معرفته بالحديث والعربية ، والحديث عن ابي عمرو ، والكسائي امامي بلديهما لا يحتاج الى بيان (٦)

ولكن هل كان كل القراء على درجة من الضبط والدقة في النقل بحيث تقبل عنهم قراءاتهم أو أن تكون مصدرا لدراسة اللهجات ؟

يحسن التوقف عند جملة من أقوال اللغويين في طائفة من القراءات لإدراك شيء مما يقال في ذلك ان تلحين القراء ورد قراءاتهم بدأ من البصريين بل حمل لواءها زعماء البصرة المتقدمون ثم تبعهم بعض زعماء الكوفة عليه ، فالفراء مع علمه وفضله وتلمذته للكسائي أحد القراء السبعة شارك في الطعن على القراء ونسب اليهم الوهم ، ولقد اثر عن بعض اللغويين البصريين انهم نقدوا القراء وضعفوا قراءاتهم واتهموهم بالجهل بأصول العربية كما فعلوا مع ابن عامر مقريء اهل الشام ، وحمزة بن حبيب الزيات مقريء اهل الكوفة ونافع مقريء اهل المدينة

وتبع ذلك ايضا مقاومتهم للمحدثين ، لان منهج هؤلاء هو هو منهج القراء كل ما عندهم نقل صحيح أو رواية موثوق بسندها ، فاذا سلم السند بسلامة رواته قبلوه ، ولم يعنوا بعد ذلك بسلامة الحديث من التناقض المنطقي . ولكن اللغويين ولا سيما النحويين منهم وجدوا كثيرا من رواته ليس عربا بالطبع ولميتعلموا لغة العرب الا بصناعة الاعراب ، فوقع اللحن في مروياتهم ، وان لم يتعمدوه .(٧)

وعودا على مسالة القراءات فالتاريخ يذكر ان عبد الله بن إسحاق الحضرمي من أوائل قراء البصرة المحترفين الذين طعنوا في القراءات ، وهذا ابو عمر بن العلاء اللغوي المعروف والقاريء المشهور يقول عن محمد بن مروان احد قراء المدينة في قراءته ((هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)) (هود:٧٨) بنصب ((اطهر)) : ((احتبى ابن مروان في لحنه)) وفي رواية :(فقد تربع في لحنه) . وهذا سيبويه يقول: ((وقد بلغنا ان قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبرينة وذلك قليل ردي)) (٨)

أما أبو حاتم فقد انحى على قراءة (ثلاثمائة سنين) بإضافة مائة الى سنين ، وهي قراءة متواترة – كما يذكر ابوحيان – قرأ بها حمزة والكسائي وطلحة ويحيى والاعمش وغيرهم (٩) .

واما الزمخشري فقد طعن على قراءة حمزة ((تسائلون به والأرحام)) بكسر الميم وبالعطف على الضمير المجرور) ، ورد قراءة ابن عامر ((وكذلك زين لكثير من المشتركين قتل اولادهم شركائهم)) ، للفصل بين المضاف والمضاف اليه . (١٠)

وبعد : فليس بصحيح ان يُشتم هؤلاء اللغويون او يتهموا بعدم الدقة أو الإهمال مالم تعرف مسوغاتهم في هذا الباب ، واولها اطلسهم اللغوي الذي حددوا فيه مواطن الفصاحة ، ونصوا فيه على القبائل التي ينبغي الاخذ عنها ، ثم صنعتهم النحوية التي تم بموجبها تقنين وتحديد القواعد والقوانين التي يحتكم اليها في معرفة المقيس والفصيح من غيره . (١١)

ولرب سائل يسأل : ماذا يكون واقع القرآن والعربية او القراءات ، لولا ضوابط اللغويين تلك التي خضعت غالبا الى القياس الصحيح والمتوازن اعتمادا على مصادرهم المشار اليها سابقا ؟

لاشك ان الواقع اللغوي للعربية سيكون مهلهلا يسوده الخلل والاضطراب ويتضمن الغث والسمين ويخوض فيه كل من هب ودب ، فعمل اللغويين هناعمل المحقق والرقيب المحتاط الذي يرصد الواقع اللغوي بكل دقة لتمييز الكلام العادي والفصيح من غيره في الوقت الذي جندوا انفسهم لحفظ الكتاب العزيز ثم ان المتتبع لهذا الموضوع يجد ان هؤلاء اللغويين لم يكونوا ليطعنوا في هذه القرآت لو كانت متواترة ، لان ذلك يعني انها قرآن ولا يعتقد ان لغويا او نحويا تجرأ على مثل ذلك ، ولعل دليل ذلك قول الرضي تعليقا على كلام سيبويه في (نبيء) و(برينة) انه((يعني قليل في كلام العرب رديء فيه لا انه رديء في القياس وهي ثابتة في القراءات السبع ... ومذهب سيبويه ... ان ذلك رديء مع انه قريء به، ولعل القراءات السبع عنده ليس متواترة والا لم يحكم برداءة ما ثبت انه من القرآن)) (١٢)

ولعل كثيرا من توجيهات النحاة تحمل على هذا الباب ، والا فما الذي يحمل أمثال الحضرمي وابي عمرو على رد بعض القراءات. وهم قراء يعرفون حدود القراءات ؟

ثم ماذا يكون موقف اللغويين من قراءات مغلوطة وان صدرت من الفصحاء كالذي نقل عن الحسن البصري في قرائته ((وما تنزلت به الشياطون)) ؟ لا يتوقع من اللغويين الا رد مثل هذه القراءات ،وهو ما وجدناه عند الفراء وابن جني والنحاس وابن خالويه . (١٣)

ويظهر مما مر ان توجيهات اللغويين لهذه القراءات لم تكن لتصدر عنهم لو ثبت عندهم انها متواترة لانها لو كانت كذلك لاحتملت كونها قرآنا .

واذا لم يثبت تواتر هذه القراءات عند اللغويين ، فهل يصح نبذها وان مثلت نمطا نطقيا اعتاده بعض العرب هنا وهناك او انه يمثل لهجات التخاطب في تلك العهود ؟

يرى بعض المحدثين اننا لا نستطيع ان نعول على القراءات الصحيحة وحدها في معرفة اللهجات العربية اذ إن العبرة في اختلاف القراءات انما كانت لاختلاف اللهجات ، وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الاوائل ، بل يقال انها اشتهرت على راس القرن الثالث حين جمع ابن مجاهد قراءاته السبع وشذذ ما عداها ، وقد ذكر أن القراءات المشهورة السبعة أو العشرة اوالثلاثة عشر بالنسبة الى ما كان مشهورا في العصور الأولى

قليل من كثير ونزر من بحر، فان من له اطلاع على ذلك يعرفه يقينا ، ولو بقيت هذه القراءات الى اليوم لكان محتملا ان تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعين الدارس على تصور اللهجات تصورا اكثر وضوحا . وحتى القراءات الشاذة فقد جاءت منقولة مروية والرواية تبلغ بها عصر النبي (ص) وهو ما يعتبر عند بعضهم صورة لاختلاف اللهجات . (١٤)

وقد وصفها ابن جني بقوله : ((نازع بالثقة الى قراءه محفوف بالروايات من امامه وورائه ، ولعله اوكثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه)) (١٥)

ثم يصفها أيضا بقوله : ((انه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانيه ... والرواية تنمه الى رسول الله (ص) . والله تعالى يقول (((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ))(الحشر: من الآية٧) وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وآخذه هو الاخذ به فكيف يسوغ مع ذلك ان نرفضه ونتجنبه ؟)) (١٦)

وعلى ذلك قرر السيوطي أن ((كل ما ورد انه قريء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متوترا أم احادا ام شاذا وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية اذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه)) (١٧)

ولقد عقد ابو الفتح في كتابه (الخصائص) بابا اسماه : ((باب اختلاف اللغات وكلها حجة)) يفهم منه انه يمكن الاحتجاج باي لغة او لهجة من لهجات العرب ، فاذا كانت هذه القراءات صحيحة او شاذة

تمثل لهجات معينة ، فهي بناءا على ذلك مما يحتج به على كلام العرب .

قال ابن السكيت في (اصلاح المنطق) لدعم لغة من لغات العرب ذكرها : ((والقصَر :: ايضا :: أصول النخل والشجر وقرأ بعض القراء . ((أنها ترمي بشرر كالقصَر)) [١٨]

وقد يستفيد من القراءة لتأكيد معنى لغوي للفظه ذكرها قال : ((القبصة اصغر من القبضة وهو التناول بأطراف الأصابع ، وقرأ بعض القراء (فقبصت قبصة من اثر الرسول) ..)) [١٩]

وقد يذكر القراءة لا ليوكد معنى قاله وانما لذكر ما يخالفه قال في : (باب فَعْل وفُعْل باتفاق معنى)) ... وقرىء(ان يمسسكم قَرْح وُقرْح) واكثر القراء على فتح القاف ، قال وقرأ أصحاب عبد الله :قَرْح، قال وكأن القَرْح ألم الجراحات : أي وجعها ، وكأن القَرْح الجراحات بأعيانها)) [٢٠] ، وجملة ما يذكره ابن السكيت في كتابه مجموعة لهجات بعضها معزو والآخر بل الأكثر غير معزو .

ومعرفة تتبع اللغويين لهذه القراءات وتحريهم في نسبها الى بيناتها او لهجاتها لا يحتاج الى مزيد عناء .ويفترض حين التعرض لهذه القراءات البحث عن موطن القاريء وبيئته ، لتحديد مصدر القراءات ولكن قد لا يسع ذلك ، لان القراء انفسهم قد تروى عنهم اكثر من رواية بل قد تجيء عنهم روايات كثيرة في قراءة واحدة ، فاذا كانت احدى هذه القراءات تنسب الى قبيلة والاخرى تنسب الى غيرها فكيف يتم التحديد ؟

يبدو ان هؤلاء الشيوخ اخذوا عن كثير من القراء الشيوخ على نحو ما يعرف عن نافع المدني الذي قرأ على سبعين شيخا ، ثم ان القاريء قد لايمثل بيئته تماما بل يحاكي نمطا آخر من القراءة وخير مثال على ذلك ابن كثير قاريء مكة ، ومكة منزل قريش ، وقريش تسهل الهمز وابن كثير كان اكثر الهامزين .[٢١]

وهذا يؤكد ما قيل سابقا من ان اللغوي وحتى القاريء يتحرى احيانا ويطلب النمط الاقيس والافصح في اللغة على نحو ما فعل ابن كثير هنا من محاكاة وموافقة لغة القرآن علما ان القرآن قد اخذ من معظم القبائل العربية شمالية وجنوبية ، وان كان نصيب الشمالية ولا سيما قريش هو الأوفر ، فإذا دل ذلك على شيء فإنما يدل على هدف القرآن السامي المتمثل بجمع العرب على هذه اللغة التامة . [٢٢] التي حاكاها العرب خاصتهم وعامتهم وسيبقون الى ان يشاء الله .

واخر ما يقال في هذا الموضع ان ما يؤخذ على اللغوين لا سيما النحويين منهم انهم لم يكونوا مهتمين كثيرا بدراسة اللهجات قدر اهتمامهم باللغة المشتركة ، ولو فعلوا ذلك لما ردوا طائفة من القراءات ولما جرحوا أصحابها ، لانها على الأقل تمثل مستوى لهجيا والقبائل كانت تختلف فيما بينها اختلافا واضحا في الألفاظ والإعراب ، كما كانوا هم أنفسهم يصرحون بذلك بين حين وآخر يقول بعضهم مثلا : ان استعمال المثنى بالألف مطلقا لغة قوم كذا ، وان إعراب الأسماء الستة بالحركات لغة لبني فلان وهكذا ...

ومع انهم كانوا يعرفون ذلك ، لم يحاولوا - ولنقل بعضهم - ترتيب أي اثر عليه ، ولو استوعبوا باستقراء تام كل انماط التخاطب لكانوا توصلوا الى نتائج قد تختلف ، ولما تكلفوا ما تكلفوا من التأويل ولما اضطروا الى ان يغلطوا نصوصا صحيحة [٢٣] في المستوى اللهجي على الاقل ولا سيما في قضيته القراءات

المبحث الثاني :

تدوين اللهجات في كتب اللغوين ونسبتها

روت كتب اللغة والادب كثيرا من لغات القبائل في ثنايا المادة اللغوية التي عرضتها الا ان الدارس لا يجد كتابا واحدا تخصص في دراسة اللهجات العربية القديمة ، الا ما يذكر من انهم الفوا بعض الكتب التي اطلق عليها كتب اللغات ومنها

١- كتاب اللغات ليونس بن حبيب (١٨٣هـ)
٢- كتاب اللغات للفراء (٢٠٧هـ)
٣- كتاب اللغات لأبي عبدة (٢١٠هـ)
٤- كتاب اللغات للاصمعي (٢١٣هـ)
٥- كتاب اللغات لابي زيد (٢١٥هـ)
٦- كتاب اللغات لابن دريد (٣٢١هـ)

٧- كتاب السيب في حصر لغات العرب لحسين بن مهدي المصري (٦٥٠ هـ) (٢٤)

ولم يصل منها كتاب يمكن به تبين طرائقها الا ما نقله بعض اللغويين كابن دريد الذي نقل شيئا من لغات ابي زيد ومنه ((ويقال : انتقع لونه ، وامتقع ، واهتقع ، والتهم وانتشف)) ومنه ((ويقولون : مت ومُتَ ، ودمِت ، دمُت ، فمن قال : مِتُ قال يمات ومن قال دمتُ قال يدام واكثر ما يتكلم به طيء)) . (٢٥) ويبدو من هذه النصوص ان هذه الكتب كانت نوعا من المعجمات وان مؤلفيها لم يكونوا يهتمون الا قليلا بعزو اللهجات الى أصحابها .

تذكر كتب التراجم والسير ان هناك مؤلفات ، تدخل في هذا الباب ، لكنها اختصت بنوع خاص وهو لغات القرآن ومنها :(لغات القرآن) للفراء ، (ولغات القرآن) للاصمعي وكذلك لأبي زيد . وبين يدي الباحث : كتاب (اللغات في القرآن) رواية ابن حسنون المقرىء باسناده الى ابن عباس وقد تلحق بها كتب معاني القرآن مثل معاني الفراء والاخفش ، اضافة الى كتب التفسير التي اهتمت باللغات كالبحر المحيط لأبي حيان وكتب القراءات القرانية .

ومن الكتب التي دونت اللغات واهتمت بها المعجمات وان لم تنسبها في الاغلب وقد تنوعت مصادرهم في التوثيق وهم كبقية اللغويين منهم من شافه الاعراب كالخليل والازهري والليث وغيرهم ، وهو ما أعتاد عليه اللغويون الأوائل ومنهم ابو عمرو ، والحضرمي ويونس ثم الكسائي ، في الذهاب الى البوادي لجمع اللغة وتدوينها ، ومنهم من استعان برواة اللغة وسمعوا منهم ودونوا ما سمعوه مما اكسب منهجهم هذا ميزة الوصفية ، وهناك عبارات كثيرة في كتبهم ذات صفة وصفية ومنها (عربي جيد) ، (عربي مطرد) ، (وما اظن ان العرب فاهت بذلك يو ما) ، (واعلم ان ناسا من العرب يجعلون (هلم) بمنزلة الامثلة التي اخذت من الفعل يقولون : (هلمي ، هلما ، هلموا)(٢٦) ومنه ((سمعت يمانيا يقول)) (٢٧) و ((سمعت العبسيين)) (٢٨)

((سمعت هاتين بخراسان)) (٢٩)

وهذا المنهج التزمه المتاخرون اذ سمعوا من الاعراب القادمين الى الحواضر واستأنسوا بهم لتاييد قول او قاعدة بنوا عليها منهجهم على نحو ما عرف من سماع ابن جني للاعراب امثال ابن الشجري . (٣٠)

على ان هؤلاء المعجمين وكعادة اللغويين لا يعزون – غالبا - إلى اسم القبيلة الماخوذ عنها بل يكتفون بقولهم (لغة) نحو ما جاء في (العين) : ((الطغيان ، والطغوان لغة)) (٣١) و ((العمق ، والمعق لغتان)) . (٣٢)

ويبدو ان المعجمات التي تأخرت عن (العين) اعتادت على ذلك أيضا (كالتهذيب) و(المحيط) والمتاخرة عنها – ايضا- كا(المقاييس) و(الصحاح) و (اللسان) و (القاموس) و(التاج) نحو قول الزبيدي ((وحاضنة الرجل : امرأته والصاد لغة فيه)) (٣٣) او مانقله عن صاحب القاموس : ((دربخت الحمامة لذكرها : طاوعته للسفاء ...)) وعقب الزبيدي : ((والهاء المهملة لغة فيه)) (٣٤)

الا ان هؤلاء المعجميين قد يعزون اللهجات – احيانا – فيقولون ((كلام قيس)) (٣٥) او ((كلام اهل البصرة)) (٣٦) او ((اهل العالية يقولون))(٣٧) ((تميم تقول)) (٣٨) او ((لغة سبتم وهذيل)) (٣٩) او ((بلغة أهل الشام)) (٤٠)

ويلاحظ ان هؤلاء اللغويين عبروا عن اللهجة باصطلاحات مثل كلام او قول او لغة ، وهم قد ينسبون الى القبائل الرئيسة نحو نسبتهم الى تميم او الحجاز – كما في الامثلة – اوالى فروعها نحو ((بلغة أزد شنوءة)) (٤١) وقد ينسبون الى موضع القبيلة نحو ((بلغة اهل مكة)) (٤٢) ، وقد ينسبون الى اكثر من قبيلة نحو ((لغة تميم وهذيل)) (٤٣) او الى موضع وقبيلة نحو ((اهل تهامة وتميم)) (٤٤)

وقد ينسب المعجمي إلى أشخاص منتسبين الى هذه القبائل نحو ((وبعض قيس يقول)) (٤٥) وقد تكون النسبة ظنية اذا لم يرجح اللغوي القبيلة او الموضع نحو ((ربما قالوا)) (٤٦) ، وقد يجهل اللغوي اللغة او الموضع فيقول مثلا ((لغة قوم لست اعرفهم)) (٤٧)

وعناية هؤلاء المعجمين باللغات من جهة نسبتها الى مواضعها او فصاحتها تختلف من لغوي الى آخر ، فاذا كانت عناية الخليل باللغات كبيرة وقد سمى بعضها – احيانا – كعنعة تميم وكشكة ربيعة .

وقطعة طيء ، كما ذكر بعض اللغات بلا تحديد كلغات هذيل وتميم والخفاجيين من بني عقيل وقبائل العراق [٤٨] ، فان ابن دريد – مثلا - وجه عناية خاصة باللهجات اليمنية اذ تنتشر في جمهرته ثلاث وعشرون لهجة اكثرها من اليمن [٤٩] .

وهو الامر الذي دفع بابن فارس في معجمه ((المقاييس)) الى ان ينقد ابن دريد نقدا شديدا لسلوكه هذا السبيل باختيار هذه القبائل ، وما ذاك الا لاختلاف منهجي هذين اللغويين ، لان الاول عني بالجمع والتدوين بلا ضوابط محددة كالتي سلكها ابن فارس في ((مقاييسه)) باعتماد الاصول والمقايس التي نبذت غير الاصيل من كلام العرب ، ولذلك اولى جل اهتمامه بلغات الشمال ، واخرج من اصوله كل ما يتعلق باللهجات الجنوبية [٥٠] نحو : (الدال والظاء : ليس أصلا يعول عليه ولا ينقاس) [٥١] وما ذاك الا لان الدظ : (الشل بلغة اهل اليمن ، يقال دظظناهم في الحرب ونحن نظظهم دظا) [٥٢] وهذا الذي ذكر هو قول الخليل الذي هو معتمد ابن فارس في معظم مقاييسه ونحو : قوله في (تلم) : ((ليس باصل ولا فيه كلام صحيح ولا فصيح)) [٥٣] اما في (العين) فهو ((مشق الكراب بلغة اليمن والجمع الاتلام والتلام : الصاغة والواحد : تلم)) [٥٤]

فهذه الابنية التي اعتمدها الخليل بل اشتق منها ، واحتذاها ابن دريد ، نبذها ابن فارس واخرجها من اصوله وما ذاك الا لاعتماده على اللغات الا فصح والاقيس – بحسب منهجه في الاقل – اما الخليل وحتى ابن دريد فقد كانا اوسع افقا واكثر تسامحا مع المتن اللغوي الذي جمعاه [٥٥]

وتذكر المصادر كتاب ((الجيم)) لابي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) الذي اعتنى باللغات عناية فائقة وهو ذخيرة للغات القبائل المختلفة ، ويفوق من هذا الجانب جميع المعجمات التي بين أيدينا ، ، اذ ان اشارتها الى اللغات قليلة متناثرة [٥٦] .

ولعل من مصادر اللغات ما يسمى بالمعجمات الخاصة التي كانت تجمع مادة لغوية في موضوع واحد اذ كان اصحابها يهتمون باللهجات مثل كتاب ((النخل والكرم)) للاصمعي وكتاب ((المطر)) لابي زيد وكتاب ((الرحل والمنزل)) لابي عبيد [٥٧]

ومنها كتب الدلالات التي لا تكاد تختلف في وصفها للهجات كثيرا عن المعجمات وبقية كتب اللغويين نحو كتب الاضداد كاضداد ابن الانباري واضداد ابي الطيب والالفاظ المترادفة للرماني إضافة

الى ما يكتب في المشترك الذي ينسب – احيانا - الى اللغات على نحو ما نجد في المعجمات ، فابو علي الفارسي يصرح بان اتفاق اللفظيين واختلاف المعنيين ينبغي ان لا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا ولكنه من لغات تداخلت [٥٨] ، وقد تبنى ذلك طائفة من المحدثين ، الذين قرروا ان كثيرا من المعاني التي تذكرها المعاجم لهذا اللفظ او ذاك ينبغي ان ينظر اليها في ضوء هذا الذي ذكره ابو علي الفارسي [٥٩] ، لان اصحاب المعجمات – كما يذكر بعض المحدثين – ضموا هذه المعاني بعضها الى بعض من دون ان يعنوا كثيرا بارجاع كل معنى الى القبيلة التي كانت تستعمله [٦٠]

ومما جاء في اضداد ابي الطيب ((يقال : اسدف الليل : إذا اظلم وأسدف الصبح : اذا اضاء وهذه لغة هوازن دون العرب)) [٦١]

واشارت كتب معالجة اللحن الى القول في اللغات ودونتها نحو ما جاء في (اصلاح المنطق) لابن السكيت الذي ضمنه ابوابا يمكنه بها ضبط جمهرة من لغة العرب وذلك بذكر الالفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى ، او المختلفة فيه مع اتفاق في المعنى وما فيه لغتان او اكثر ... الخ [٦٢] .

وقد عقد ابوابا لما جاء بلهجتين غير انه لم يذكر اللغة – احيانا – معزوة الى اهلها ... ومن امثلة ما نسبه الى اللهجات وذلك في باب : (فِعْل ، وفَعْل) باتفاق معنى : (قال ابو عبيدة : تميم من اهل نجد يقولون : نهي للغدير ، وغيرهم يقولون : نهي ... قال يونس : اهل العالية يقولون الوتر في العدد والوتِر في الذحل ، وتميم تقول:الوتِر في العدد والذحل ..ويقال الصِّرع لغة قيس،والصَّرع لغة تميم ، كلاهما مصدر صرعت))[٦٣]

ومما يعد من مصادراللهجات كتب النحو ، التي تذكر اللهجات في حدود منهجها التقعيدي القياسي ، ولعل كتاب سيبويه على راس هذه الطائفة ، حيث نقل عن العرب كلاما منسوبا الى اللهجات – احيانا -

وقد احصى بعض المحدثين اللهجات العربية التي ذكرها سيبويه في كتابه بحوالي (٢٣) ثلاث وعشرين لهجة .(٦٤)

ومن المواضيع التي اشار فيها الى اللهجات حديثه عن (ما) الحجازية والتميمية والاستدلال لهما والمقايسة بينهما ، وقد جعل التميمية هي القياس (٦٥) ، وفي (باب المضاعف) واختلاف العرب فيه ذكر لغة الحجاز في فك الادغام في الامر والمضارع المنجزم ، وبقاء تميم على الادغام ، واستدل لكل من اللغتين . (٦٦)

واذا توقفنا عند نحوي آخر هو المبرد ، فاننا نجده تناول هذه اللهجات ووظفها لخدمة منهجه ، وقد يشرحها او يفاضل بينها – أحيانا - ،وقد لا يفاضل بينها كما فعل في باب ((ما)) عند الحجازيين والتميمين .(٦٧)

ولا يكاد يختلف منهج النحويين الاخرين الا مايُرى في مد القياس على لهجات اكثر قد لا تعد قياسية ، بل على شواهد قد لاتتجاوز – احيانا – الشاهد الواحد وهو ما نراه في مدرسة الكوفة (٦٨) .

ومن الكتب التي اهتمت باللغات ، وكانت مصدرا مهما لدراستها ، كتب النوادر كـ (نوادر ابي زيد) الذي توفر على مادة خصبة لدراسة اللهجات .

قال في مقدمة كتابه : ((وما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من لغات وابواب الرجز فذلك سماعي عن العرب)) . (٦٩)، وهو كثيرا ما يعزو الى اصحابها ، وان لم ينسبها – احيانا – الا انه كثيرا ما يحدد قبيلة الشاعر او الراجز الذي يأخذ عنه كقوله ((قال فلان من تميم او فلان الهذلي او راجز من حمير ... الخ ، ومن أمثلته ، قوله : أنشدتني اعرابية من بني كلاب : ..

فتعلمن وان هويتك عنتي

قطاع ارمام الحبال صروم

فقلت لها ما هذا ؟ فقالت : هذه عنتنا ، وبعضهم يقول : عنعنة فلان ...)) (٧٠)

اما الامثال ، فان دراستها تفيد الدرس اللهجي كثيرا ، لان الامثال هي لغة الشعب التي يطلقها ، وتعبر اصدق تعبير عن لهجته ، ويعتمد عليها في دراسة اللهجات العامة ، ومنها (مستقصى) الزمخشري و(مجمع الامثال) الميداني وغيرهما ومما جاء في (مجمع الامثال) ((أتى عليهم ذو أتي ، هذا من كلام طيء ، وذو في لغتهم تكون بمعنى الذي ، يقولون : نحن ذو فعلنا كذا أي نحن الذين فعلنا كذا ...)) (٧١)

ويبقى في هذا المبحث امر آخر تجب الاشارة اليه ، وهو ان هؤلاء اللغويين قد ميزوا هذه اللهجات – احيانا – على اساس بنية المفردات او دلالتها ، فالتغير في بنية المفردات قد يكون ناجما عن تغيير حركة في صيغة المفردة فعلا كانت او اسما كقولهم : ((برئت من المرض بُرءا ، ولغة اهل الحجاز بَرأت من المرض بَرءا)) (٧٢) ، ويشمل هذه التغير والاختلاف : الابدال في الاصوات ومثاله مايذكر في معظم المظان ولاسيما المعجمات مما يسمى بـ (عنعنة تميم او كشكشة ربيعة او كسكسه هوازن او طمطمانية اليمن .. الخ

وقد يكون الاختلاف دلاليا ، فلكل حرف معناه ، والمناسبة بين الحركة والمعنى لازم من لوازم العربية ، وبناءعلى ذلك نجد دلالة تلك الحركات على المعنى قد تختلف من لهجة الى اخرى على حسب البيئة اللغوية : فمن ذلك ((الدَّعوة في الطعام والدِعوة في النسب الا عدي الرباب)) (٧٣)

ومنه : ((الهَوْن لغة قريش في الهوان ، وبعض بني تميم يجعل الهون مصدرا للشيء الهين)) (٧٤)

ويدخل في هذا الباب ما ينتمي الى الدلالة النحوية ، نحو ما تنقله الكتب النحوية ومنه ما ذكر في كتاب سيبويه كقوله : ((هذا باب ما اجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة الحجاز ثم يصير الى اصله ، وذلك الحرف ما ... واما بنو تميم فيجرونها مجرى أما و هل ، أي لا يعاملونها في شيء وهو القياس ، انه ليس بفعل وليس ما كـ ليس ولا يكون فيها إضمار)) (٧٥)

وقد يثبت الاختلاف اللهجي الى اختلاف الدلالة كقولهم : ((السرحان : الذئب بلغة نجد ويجمع السِّراح والسراحين)) (٧٦) ، و((السرحان : الاسد

بلغة الحجاز)) [٧٧] ومنه ((الساجد : المنتصب في لغة طيء ... وسائر العرب تقول : الساجد : المنحني ..)) [٧٨]

وما اشير اليه في آخر هذا المبحث ، من هذه المستويات ، لم تكن موزعة وذلك لتوزيع المنظم الذي اعتمده المحدثون في كتبهم او رسائلهم ، بل هو مبثوث في كتب اللغويين القدماء عند عرضهم لمادتهم اللغوية .

المبحث الثالث :

وصف اللغويين للهجات وموقفهم منها

كان لتعدد القبائل العربية ، وانتشارها على اديم الجزيرة العربية ، وتجاورها او التباعد بينها ، اثره في اختلاف طرائق الاداء بين ابناء القبائل ، مما افرز اختلافا في مستويات التخاطب ومن ثم تميزت كل بيئة بصفات خاصة بها ميزتها من بقية شقيقاتها ، وهو ما يبدو واضحا في اللهجات العربية الا ان مستويات التخاطب هذه لم تكن الوحيدة التي حكمت هذه البيئة ، بل هناك مستوى آخر حكم هذه البيئة بقوة وهو مستوى اللغة المشتركة الفصحى التي تواضع عليها العرب ، وحاكاها خاصتهم من اهل البلاغة والتأثير الخطابي والشعراء ، وبها كتبت المعلقات ثم اصلها القرآن الكريم بعد بزوغ فجر الإسلام وبناءا على ذلك كانت احكام اللغويين لا تتجاوز هذا الإطار متخذين من القرآن والعربية الفصحى ميزانا لتقويم المتن اللغوي الذي رووه شعرا ونثرا .

وقد تباينت اراؤهم – احيانا – في اعتماد هذه الضوابط بين متشدد لم يتجاوزها الى ما سواها ، ولم يعتمد الا ما وافق القرآن والفصحى ، وهو ما نجده عند النحويين ولا سيما البصريين منهم وبعض اللغويين على ما سيعرف في اثناء البحث ، وبين معتدل لم يهمل هذه الضوابط ، بل اعتمدها – غالبا – مع احتكامه الى الواقع اللغوي – احيانا – على ما سيعرف من بعض اللغويين ولا سيما الكوفيين وما ميز مناهج بعض لغوي القرن الرابع الهجري كابن جني في الوقت الذي تشدد فيه اللغويون – عامة – في هذا العصر مستظلين بنظام التقعيد والمعيارية التي نضجت في هذا العصر واستوى عودها .

ولقد كان نتيجة ذلك ما صدر عن بعض اللغويين من توصيفات للغات تتوزع بين مستوين هما الحسن والقبح فقالوا : لغة فصيحة او مشهورة او جيدة وما اشتق منها او قبيحة ومذمومة ورديئة ورديفاتها ..

وقد حدد اللغويون القبائل التي يؤخذ عنها ، والتي لا يؤخذ عنها ، فالسيوطي يروي عن الفارابي قوله : ((لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام ، فانهم كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط ولامن قضاعة ولامن غسان ولا من اياد ، فانهم كانوا مجاورين لاهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم ، بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر ، لانهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولامن عبد القيس ، لانهم كانوا كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من ازد عمان لانهم كانوا مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن اصلا ، لمخالطتهم للهند والحبشة ولامن بني حنيفة وسكان اليمامة ولامن ثقيف ، وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الامم المقيمين عندهم ولامن حاضرة الحجاز ، لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم)) [٧٩]

ولقد كان منهج هؤلاء اللغويين يجري بحسب منهج محدد ذي اختيارات تاريخية واجتماعية وجغرافية معينة ، فكان لهم انتقاء من الزمان من امرىء القيس الى ابن هرمة ، وانتقاء في المكان وسط شبه الجزيرة وانتقاء من قبائل الوسط: قيس وتميم واسد وطيء وهذيل وبمن تبدى من هذه القبائل دون من تحضر [٨٠] .

قال ابو عمر بن العلاء : ((افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم)) يعني : بني دارم ، وقد يذكرون اللغات التي نزل بها القرآن فقد روي عن ابن عباس ان القران نزل على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال : والعجز سعد بن بكر وجشم بن بكر و نصر بن معاوية وثقيف وهؤلاء كلهم من هوازن ويقال لهم عليا هوازن

وعن ابن عباس – ايضا – ان القران نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش و كعب خزاعة ، وقيل كيف ذاك ؟ قال : لان الدار واحدة ، يعني : ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم وعن ابي حاتم

السجستاني : نزل القران بلغة قريش وهذيل وتميم والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر . (٨١)

وفي كتاب ابن حسنون المقرىء المروي عن ابن عباس احصائية للغات القبائل التي جاءت في القرآن ويظهر ان اشارة العلماء الى القبائل التي نزل بها القران دليل على فصاحة هذه القبائل

والذي يعني الدارس من هذه النصوص ولا سيما نص الفارابي إشاراتها الى فصاحة بعض القبائل ، والى اختلاط العرب بالامم الاعجمية المختلفة ، مما كان له اثر في لغات القبائل بحسب اللغة التي أثرت فيها ، والغالب على الظن ان هذا التاثير كان في بعض الاصوات التي لم تكن مألوفة الاستعمال عند العرب او في اسماء الاشياء التي اخذوها عنهم ، فساعد على الاختلاف بين اللهجات العربية بما كان من اتصال بين القبائل التي اخذ العلماء عنها ووصفوها بالفصاحة والقبائل التي تؤخذ اللغة عنها . (٨٢)

ويبدو ان تحديد هذه اللهجات او القبائل لم يكن ليتضح عند الطبقة الاولى من اللغويين وهي طبقة ابي الاسود واصحابه – اذا صح توصيفهم – ذلك ان هؤلاء رصدوا ما اصاب السليقة العربية من خلل واضطراب نتيجة لاختلاط العرب مع غيرهم وتحديدا في البصرة المتعددة الجاليات والمتشعبة الثقافات ، الامر الذي ادى الى تفشي اللحن ، الذي طال القرآن الكريم نفسه ، والذي دفع بابي الاسود الى نقط المصحف ثم التفكير في وضع ضوابط واقيسة لضبط المتن اللغوي واقامة النص القرآني على اكمل وجه وقد نضجت تلك الموازين عند طبقة الحضرمي (١١٧هـ) ومن تبعه كعيسى بن عمر (١٤٩هـ) ثم أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ثم من لحق بهم .

وقد وظف الحضرمي تلك الاقيسة في بناء هيكل نحوي له من الاطراد والبعد عن القليل والشاذ ما يعصم به الالسنة من الخطأ واللحن ، وان كان هذا القليل يمثل نمطا لهجيا ، فالعبرة بالاشيع والاقيس ولذلك وصف ابن ابي اسحاق الحضرمي بانه اول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، وبناءا على ذلك كان جوابه ليونس بن حبيب حين ساله عن كلمة (السويق) ، هل ينطقها احد من العرب بالصاد؟ فاجابه الحضرمي : ((نعم ، عمر وبن تميم تقولها ، ثم قال له : وما تريد الى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس .)) فمع عنايته بالنحو لم يتخلف عن جواب يونس بإشارته الى البيئة او اللهجة التي كانت تستعمل هذا المستوى النطقي (٨٣) .

اما ابو عمرو فقد وصفه الجاحظ بانه اعلم الناس بالعربية والغريب وبالقرآن والشعر . (٨٤) وقد سئل مرة : ((كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : اعمل على الاكثر واسمي ماخالفني لغات)) (٨٥)

وقد يتلمس الباحث هذا الحس اللغوي وتأثره بالواقع اللغوي في قراءاته ، فقد نقل عنه انه قرأ ((فتوبوا الى بارئكم)) باختلاس الحركة ، وليس حذفها كما يشير ابن جني الذي عقب على ذلك بقوله : ((ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة ولكن من ضعف دراية)) (٨٦)

ولكن الإخبار تنقل عن أبي عمرو نفسه ان كلام العرب الدرج ، أي : عدم تحقيق حركة الأعراب ، والحضرمي يشير أيضا الى ان العرب ترفرف على الاعراب ولا تتفيهق فيه ثم كلام يونس بان العرب لا تحقق الاعراب بل تشامه . (٨٧)

ولاشك فان ذلك يمثل نمطا من انماط السلوك اللغوي عند بعض العرب الذين ينتمون الى البيئتين الحجازية والنجدية .

ويرى بعض الباحثين ان هذه الظاهرة تمثل وجها من وجوه السلوك اللغوي اليومي للمتكلمين العرب الذين لم يكونوا يحرصون بدقة على مراعاة التقيد بالعلامات الاعرابية ونطقها في جميع كلامهم ويبدو ان ذلك كان كثيرا عند بعض القراء . (٨٨)

وعليه فلا يبعد وصف سيبويه ثم ابن جني لقراءة ابي عمرو هذه بقولهما : ((اضبط من غيره)) ان يكون استشعارا لهذا النمط من السلوك اليومي عند بعض العرب .

واذا تتبعنا لغويا اخر من الطبقة التي تلت الحضرمي واصحابه وهو -الخليل رحمه الله - . فاننا نجده اكثر واقعية وتالفا مع المتن اللغوي ، وقد يكون السبب في ذلك ، هو تقدم عصره ، فكان بامكانه الحكم الصحيح على المعنى اللغوي العربي وغيره ، ثم ان قواعد الاخذ والاستشهاد لم تكن قد حددت، تماما واتخذت صرامتها التي تشكلت فيما بعد وهو ما وجد

عند علماء القرن الرابع للهجرة ، فلقد كان الخليل في شواهده ولا سيما الشعرية اكثر تسامحا حتى من معاصريه ومنهم تلميذه الاصمعي ، ولقد اشار البحث الى رواية هذا العالم عن كثير من القبائل العربية ولا سيما اليمنية واشتقاقه منها وعدم تحرجه من الاخذ

عن هذه القبائل ، بخلاف ما رأينا من ابن فارس (٣٩٥ هـ) من علماء القرن الرابع الذي نبذ ما روي عن قبائل الجنوب ولم يتجاوز في مقاييسه لهجات الشمال . (٨٩)

اما معاصر الخليل الاصمعي فقد تشدد في منهجه اللغوي فهو يرفض رواية شعر عدي بن زيد وابي دؤاد ، لان الفاظهما ليست نجدية . كما يرفض رواية شعر الكميت والطرماح لانهما مولدان .

وفي باب (فعلت وافعلت بمعنى) وهو الذي ينسبه اللغويون الى اختلاف اللغات – احيانا – ينقل لنا السجستاني قولاً للاصمعي : ((أتجيز انك لتُبرق لي وتُرْعد ؟ فقال : لا ، انما هو تَبْرُق وتَرْعُد ، فقلت له : فقد قال : الكميت :

ابْرقْ وارْعِدْ يايزيـ ... ـدُ فما وعيدك لي بضائر

فقال : هذا جرمقاني من اهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها ابا زيد الانصاري ، فاجازها)) . (٩٠)

وذهب الكسائي مذهب المجوزين . (٩١) وقد نسب ابن سيده في (مخصصه) تباين هذه الصيغة الى اختلاف اللغات (٩٢) .

فاما موقف الاصمعي فمبني على ولعه بالجيد والمشهور وقد ضاق بما سواه ، لانه فصل بين مستويين من الاستعمال اللغوي – كعادته – هما مستوى الفصحى وهو الذي اخذ به دائما ومستوى اللهجات الذي انكره ، فهذا اللغوي قد التزم منهجا لغويا متطرفا في طريقة الاخذ والرد ، على الرغم من استعمال هاتين الصيغتين استعمالا لهجيا من بيئتين توصفان بالفصاحة فصيغة (فعل) تنسب عادة الى الحجاز وقريش والاخرى الى نجد وتميم وقيس (٩٣)

وقد يكون احتكم الى اللغة الاقيس وهي لغة قريش – على ما يذكر كثير من اللغويين – وقد يكون استشعر بالفرق الدلالي بين الصيغتين الذي يشير اليه صاحب (الكتاب) عند تعرضه لصيغة (فتن) الحجازية و (افتن) النجدية اذ وجد ان الصيغة المجردة تدل على انك جعلت فيه فتنة ، والمزيدة جعلته مفتنا (٩٤)

واما موقف ابي زيد فواضح الأخذ باللغات فهو القائل في (نوادره) : ((ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي عن المفضل ابن محمد الضبي ، وما كان من لغات وابواب الرجز فذلك سماعي من العرب)). (٩٥)

فهو ياخذ عن العرب مراعيا انماط التخاطب المتمثلة باللهجات ولم يكن هناك من سبب يمنعه من ذلك اذا ما كان ذلك يمثل واقعا لغويا ولقد سُمِعَ يقول : ((طفت عليا قيس وتميم مدة طويلة اسأل عن باب فَعَلَ يَفْعُل و يَفْعِل بالضم والكسر لاعرف ما كان منه بالضم او لا وما كان منه بالكسر او لا فلم اجد لذلك قياسا ، وانما يتكلم به كل امرىء منهم على ما يستحسن ويستخف لا على غير ذلك)) (٩٦)

وقد اخذ ابو زيد عن المفضل بن محمد الضبي ذي النزعة الكوفية تلك التي يصفها كثير من المحدثين انها اقرب الى واقع اللغة اذ كانت السمة الغالبة على اللغويين الكوفيين حتى نحاتهم .

فقد غلبت على منهجهم صفة الوصفية البعيدة عن التعليل الفلسفي ، وكلمة الكسائي عندما سئل في مجلس يونس عن قولهم : ((لاضربنَّ ايُّهم يقوم ، لم لا يقال : لاضربنَّ ايُّهم ؟ فقال – أي هكذا خلقت)) مشهورة في ذلك ، اذ يرى بعض المحدثين ان قول الكسائي: (هكذا خلقت) هو جوهر المنهج الوصفي وذلك هو اساس الدرس اللغوي والنحوي عند طائفة من المحدثين(٩٧)

لقد ادى ذلك بالكوفيين الى ان يتوسعوا في القياس ، فان كان شرط صحة القياس عند البصريين الكثرة فان ذلك امر لايحرص عليه الكوفيون ولا ننسى ما قرره ابو عمرو بن العلاء من انه يعتد بالكثير ويسمي القليل لغات فلا يقاس عليه او كما يقول (يحفظ ولا يقاس عليه) اما الكوفيون فكان لهم موقفهم الذي رموا به الى غايه اخرى تتناسب مع

الطابع النقلي الغالب على افكارهم فربما قصد الكوفيون باعتدادهم بالقليل الا يهدروا نصا عدوه فصيحا ، لانهم لم يربطوا الفصاحة بالجغرافيا وربما قاسوا على كلام اهل المدن وغيرهم من اصحاب الشواذ من اعراب البادية [٩٨] فهم بذلك اقرب الى واقع اللهجات من اقرانهم البصريين .

ويمكن التثبت من موقف اللغويين بعرض طائفة اخرى من اقوالهم وتحليلاتهم وتعليلاتهم واقيستهم وضوابطهم عند الترجيح والمقايسة .

فلقد غلب على منهجهم - عموما - الالتزام بثوابتهم في تحديد الفصيح من غيرهم فالخليل يصرح بقوله : ((من ترك عنعنة تميم وكشكشة ربيعة فهم الفصحاء ، اما تميم فانهم يجعلون بدل الهمزة العين)) [٩٩]

وواضح من كلامه ان لغة تميم في هذا الموضع غير فصيحة وان مثلت مستوى لهجيا واذا تتبعنا قوله في المستوى النحوي فاننا نجد مثلا في الكتاب : ((يازيدَ زيدَ عمرو ويازيدَ زيدَ اخينا ويازيدَ زيدنا ، زعم الخليل – رحمه الله – ويونس ان هذا كله سواء وهي لغة للعرب جيدة)) [١٠٠]

وقد علل ابن السراج موقفي الخليل ويونس بقوله : ((لانهم قد علموا انهم لو لم يكرروا الاسم كان الاول نصبا لانه مضاف فلما كرروه تركوه على حاله)) [١٠١]

ويبدو ان الحكم الذي صدر عن الخليل ويونس ونقله سيبويه بوصف هذه اللغة بالجيدة يرجع الى انها جارية على المسموع او الشائع المقيس من كلام العرب وهو ما يفهم من كلام ابن السراج الذي احتكم الى اصوله النحوية .

وقد يكون هذا اللغوي اكثر وضوحا فيذكر المسوغات لهذا الابدال او لذاك التغيير الذي نتج عنه تمايز لهجي نحو : ((ويقال : بَقِيَ الشيء يبقى بقاء وهو ضد الفناء ، قال : ولغة طيء : بقى يبقى ، وكذلك لغتهم في كلّ مكسور ما قبلها يجعلونها الفا نحو : بقى ، ورضا ، وانما فعلوا ذلك ، لانهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء فيفتحون ما قبل الياء فتنقلب الياء الفا ، ويقولون في جارية : جاراه، وفي بانية باناه وفي ناصية ناصاه))[١٠٢]

فقوله : (يكرهون اجتماع الكسرة والياء في مثل بَقِيَ فيفتحون ماقبل الياء فتنقلب الياء الفا) [١٠٣] هو توجيه وتعليل صوتي .

ومما يدخل في التوجيه الدلالي قوله : ((العمق والمعق لغتان ، يختارون العمق احيانا في بئر ونحوها

، اذا كانت ذاهبة في الارض ، ويختارون المعق احيانا في الاشياء الاخرى مثل الاودية والشعاب البعيدة في الارض ، الا انهم لا يكادون يقولون فج معبق بل عميق ، والمعنى كله يرجع الى البعد والقعر الذاهب في الارض))[١٠٤]

وهذا يشبه ما نسمعه احيانا في لهجاتنا الدارجة من نحو : (صدك و صكد) او قول بعض المصريين (حقر وفحر) ، وكثير غيرها مما يدخل في التقليب ، والخليل في هذا الموضع يشير الى الدلالة الدقيقة لكل من الصيغتين التي قد تشير الى اصلهما ، الذي قد يتحول الى نمط لهجي بعد ذلك في بيئتين وهو المفهوم من كلام الخليل ، او قد يحدث في البيئة الواحدة كما ذكر في الامثلة المشار اليها في اللهجات الدارجة ، ويعزوها بعض المحدثين في البيئة الواحدة الى الميل الى تخفيف اللفظ ، ويحدث ذلك في الغالب اعتباطا [١٠٥]

وقد يشير هذا اللغوي الى النمط اللهجي مع تحديده لدلالة الصيغ التي يذكرها نحو : ((الضَّعف خلاف القوة ، ويقال الضَّعف في العقل والرأي والضَعف في الجسد ، ويقال : هما لغتان جائزتان في كل وجه ، يقال : كلما فتحت بالكلام فتحت بالضَّعف تقول : رايت به ضعفا ... ، فاذا رفعت او خفضت فالضم احسن تقول : به ضُعْف شديد ، وفعل ذلك من ضُعْف شديد)) [١٠٦]

وقد نجد مثل هذا التوجيه عند سيبويه – تلميذ الخليل – قال : ((فأما ناس كثير من تميم ، وناس من أسد ، فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك لانهم ارادوا البيان في الوقف ، لانها ساكنة في الوقف ، فارادوا ان يفصلوا بين المذكر والمؤنث وارادوا التحقيق والتوكيد في الفصل ، لانهم اذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان اقوى من ان يفصلوا بحركة)) [١٠٧]

وقد لا يتحصل اللغويون على توجيه محدد في هذا الباب ، فينسبونه الى اوجه اخرى قد يكون منها النمط اللهجي نحو قول ابي علي الفارسي ((فاما عوّال فمن عالَ عوْلا اذا مال ، واما عيّال ، فلا اعرف ما هي الا ان يكون على المعاقبة التي بين الياء والواو لغير علة ، وهي لغة حجازية ، يقولون : الصواغ والصياغ ، قال الاصمعي : سألني المفضل بن سلمة عن بيت الاعشى: لقد نال خيصا من عُفيرة

خائصا ، قال ما الخيص ؟ قلت : العرب تقول فلان يخوص العطاء في بني فلان : أي يقلله قال : وكان ينبغي ان يقال خوصا ، فلم اجد جوابا الا المعاقبة)) (١٠٨)

ومنه ((الذعاق بمنزلة الزعاق ، قال الخليل سمعناه ، فلا ندري الغة هي أم لثغة)) (١٠٩)

ومنه قول ابن فارس في (المقايس) : ((واما عُلوان الكتاب فزعم قوم انه غلط ، انما هو عنوان وليس ذلك غلطا ، واللغتان صحيحتان وان كانتا مولدتين ليستا من اصل كلام العرب ، واما عنوان فمن عَنّ ، واما عُلوان فمن العلو ، لانه اول الكتاب واعلاه)) (١١٠) والذي اشار الى ان علوان غلط هو الخليل (١١١)

ولعل خير ما يُختم به هذا المبحث وقفه عند واحد من اعظم اللغويين وهو من ابناء القرن الرابع للهجرة الا وهو ابو الفتح بن جني (٣٩٢هـ)،الذي عاش في عصر ، تحول فيه المنهج اللغوي في عمومه نحو التقعيد والفلسفة الطوم ومنهجتها بهذا الاتجاه وحيث وصلت فيه الاسس التي يتم بموجبها اختيار اللغة الى قمة نضوجها(١١٢)

ويتوفر الباحث على مادة ضخمة اذا ما اراد تتبع منهج هذا اللغوي عموما وفي هذا الباب على وجه الخصوص فمن تعليلاته ومقاييساته قوله وهو يتحدث عن استعمال القبيلة الواحدة اللفظين في معنى واحد كما في (فعلت وافعلت) فهم – برأيه – يفعلون ذلك لحاجة اليه في اوزان اشعارهم وسعة تصرف اقوالهم . قال : ((وقد يجوز ان تكون لغة الشاعر في الاصل احداهما ، ثم استفاد الاخرى من قبيلة اخرى وطال عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الاولى ، وقد تكثر احدهما في كلامه وتقل الاخرى فتكون القليلة في الاستعمال هي المفادة من لغة اخرى او انها قلت في استعمالها لضعفها في نفسه وشذوذها عن قياسه وان كانتا لغتين له ولقبيلته ...)) (١١٣)

وقوله : ((واذا كانت القبائل العربية متفرقة في اماكن شتى ، فذلك لا يدفع ان يراعي احدهم لغة غيره ، لانهم يتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة ، فبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعي امر لغته كما يراعي ذلك من مهم امره فهذا هذا)) (١١٤)

فأبو الفتح – هنا – يشير معللا لامكانية استعمال القبيلة اللفظين في معنى واحد في الوقت الذي يرجح بعض اللغويين كالخليل والكسائي تباين اللفظين عند استعمالهما في لهجة واحدة ، وهو في ذلك يحتكم الى الواقع اللغوي في انماط اللهجات الذي لا يحكمه قانون حاسم يقرر ظاهرة معنية او نفيها بل قد يكون الشذوذ فيه هو القاعدة لانه ليس نظاما رياضيا بحتا ولا قانونا يلتزم السير عليه . (١١٥)

ومما رجح فيه القول اعتمادا على القياس قوله ناقلا عن الاخفش قول العرب ((مررت باخويك ، واخواك جميعا ، الا ان الياء كانت اقيس للفرق ، فكثر استعمالها ، واقام الاخرون على الالف ، او ان يكون الاصل قبله الياء في الجر والنصب ، ثم قلبت للفتحة قبلها الفا في لغة بلحارث بن كعب)) (١١٦)

فقد كانت اللغة اقيس ، لان بها يحصل الفصل بين الصيغ في الاعراب لضبط المعنى وامن اللبس ، ثم كان توجيهه الصوتي بأن هذا الذي حصل في لغة بلحارث بن كعب هو للانسجام الصوتي وللمجانسة . (١١٧)

وقد عقد ابو الفتح في خصائصه بابا سماه ((باب اختلاف اللغات وكلها حجة)) ويبدو من عنوان هذا الباب انه يمكن الاحتجاج باي لهجة من لهجات العرب ، والاحتجاج يعني جواز استعمالها والقياس عليها وقد نص على ذلك بقوله : ((وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء وان كان غير ما جاء به خيرا منه)) (١١٨)

ولو ترك ابن جني كلامه هذا من دون قيد لما بقيت هناك لغة يحتكم اليها ونقصد اللغة الادبية

الموحدة ولأضطرب الكلام اشد الاضطراب الا ان ابا الفتح احتاط لقوله بما يلي :

١- ان تكون اللهجتان في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين او كالمتراسلتين وحينئذ فللمتلقي ان يستعمل أي اللهجتين شاء ، وله ان يختار احداهما على الاخرى لقوة في القياس يعتقدها ، فاما ان ترد الثانية بالاولى فلا ((اعلم ان سعة القياس تبيح لهم

ذلك ولا تحضره عليهم ، الا ترى ان لغة التميميين في ترك اعمال (ما) يقبلها القياس ولغة الحجازيين في اعمالها كذلك ، لان لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ويخلد اليه ، وليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لانها ليست احق بذلك من رسيلتها ، ولكن غاية مالك في ذلك ان تتخير احداهما فتقويها على اختها وتعتقد ان اقوى القياسيين اقبل لها واشد انسا بها فاما رد احدهما بالاخرى فلا)) (١١٩)

فالمفهوم من كلام ابي الفتح ان كثرة الاستعمال وقلته واستعمال القرآن لهذه اللهجة او تلك هو الذي يقوي احدى اللهجتين على الاخرى وقد تابع سيبويه في هذا الموضع باعتباره (ما) التميمية اقوى قياسا قال : ((وانما كانت التميمية اقوى قياسا من حيث كانت عندهم كهل)) (١٢٠)

فنص ابن جني صريح بان التميمية هي الاقيس ، الا انه لا يلبث ان يذكر صراحة اختياره للحجازية معللا ذلك بكثرة الاستعمال مستدلا على تلك الكثرة بنزول القرآن بها قال : ((الا انك اذا استعملت انت شيئا من ذلك فالوجه ان تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازية ، الا ترى ان القرآن نزل بها)) (١٢١)

الدكتور حسام النعيمي كان يرى تناقضا في كلام ابي الفتح الذي ذكر اولا ان التميمية اقوى قياسا الا انه عدل في قوله الثاني الى الحجازية التي كثر استعمالها وبها نزل القرآن .

ولكن يمكن ان نفهم من كلام ابن جني انه كان يرى ان كليهما تقبل القياس الا ان التميمية وان كانت اقوى قياسا ، الا ان كثرة الاستعمال في (ما) الحجازية وقياسيتها ثم استعمالها القرآني رجح كفتها عنده .

٢- والضابط الاخر الذي وصفه ابن جني هو ان تكون احدى اللهجتين قليلة الاستعمال والثانية شائعة الاستعمال ، والترجيح هنا سيكون للشائعة الاستعمال قال: ((فاما أنْ تقل احداهما وتكثر الأخرى جدا ، فانك تاخذ باوسعها رواية واقواها قياسا)) (١٢٢) .

وكلام ابن جني يؤيد إشارة البحث الى ان الغلبة تكون للغة الاكثر استعمالا والاوسع رواية بحسب كلامه ، الذي وضع ضوابطه المتمثلة بكثرة الاستعمال ووسع الرواية وقوة القياس .

٣- والضابط الثالث عند ابي الفتح هو ان يكون استعمال اللهجة في شعر او سجع ، وحينئذ فلا حرج من استعمال ما ثبت ضعفه لقلة استعماله ، وليس لاحد ان يعترض على الشاعر او الساجع لاستعماله اللغة الضعيفة ، لان الشعر والسجع مظنة الحاجة الى ذلك للضرورة وعقب على ذلك بقوله : ((وان يتخير ما هو اقوى واشيع منها الا ان انسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه يكون مخطئا لاجود اللغتين)) . (١٢٣)

وقد اعترض الدكتور النعيمي هنا قائلا : ((اما انا فارى ان هذا الكلام يمكن ان يقبل من العرب الذين استشهد العلماء بلغتهم ، أي الذين لم يتعلموا العربية في اماكن الدرس ..)) ... ثم قال أيضا : ((اما اباحته ذلك في الشعر والسجع فهو كما ارى غير صحيح ايضا ، لان الضرورة ينبغي الا تكون سبيلا للاتكاء على النادر القليل وترك الشائع الكثير من لغة العرب)) . (١٢٤)

الا ان واقع الحال هنا يشير الى ان ابن جني يريد تاكيد مسالة مهمة هي : قضية الاستعمال اللهجي لهذا النمط او ذاك ، ولا ينبغي ان يُحَمَّل كلامه اكثر مما يحتمل ، وفي الضوابط التي ذكرها ما يؤكد ذلك ، فهذا العالم وبشهادة الكثيرين اقرب اللغويين الى الفهم الصحيح للدرس اللغوي ، بل يدرك ما للمصدر البشري من قيمة كبيرة في استيفاء اللغة ، فهو يشير الى مستويين من الخطاب اللغوي وهما الشائع المقيس الذي جاءت به اللغة الفصيحة المشتركة وهو الأساس والميزان الذي يؤسس عليه مستقبل العربية و مستوى اللهجات الذي يمثل واقع البيئات العربية الذي لا ينبغي نبذه وتغليطه بل نقله بوصفه مستوى من مستويات العربية .

الخاتمة:

اما بعد ، فقد تعرض هذا البحث لموضوع مهم من مواضيع العربية ، ذلك هو موقف اللغويين القدامى من ظاهرة اللهجات ، اذ تتبع هذا الموضوع في ثلاثة جوانب :

الاول منها : في مسألة الربط بين القراءات واللهجات اذ أصّل لاولية العربية ولهجاتها واشار الى موقف اللغويين من القراءات ، وعرض طريقتهم في توجيهها فوجد ان منهجهم كان متوازنا في هذا الباب معتمدين على مقاييس وضوابط في قبول هذه القراءات وردها تتمثل في موافقة المصحف ، او العربية وان تكون القراءة متواترة ، وان لم يعطوا الدرس اللهجي تلك العناية التي أولوها للفصحى المشتركة ، ذلك انهم وضعوا جل عنايتهم في رافد العربية المشتركة تلك اللغة التامة حفاظا على التعبير القرآني من الخلل والاضطراب وكان ثمرة عملهم بقاء العربية ناصعة مشرقة يحاكيها أبناؤها بل المسلمون في بقاع الارض تواصلا مع القرآن .

واما الثاني في هذا البحث : فكان عرضا لجهود اللغويين معجمين ونحويين وادباء وممن فسر منهم او نظر او روى اللهجات من خلال الرجوع الى جملة من المظان تمثلت بالمعجمات العربية المعروفة الخاصة بالالفاظ والمعجمات المتخصصة بموضوع واحد وكتب اللغات والنحو والنوادر والامثال وكتب اللحن العامة والتفسير والقراءات ومعاني القرآن وغيرها وقد ذكرت اللغات ونسبتها في بعض -الاحيان- الى بيئاتها ووصفتها في موارد تبعا للمنهج الذي التزمته ، فكانت مصدرا خصبا يمكّن الباحث من الاحاطة بالانماط اللهجية في تلك الاعصر .

واما الثالث : فكان وقفة متاملة وعميقة عند اللغويين وتوصيفاتهم للهجات بعد استقرائهم لمستويات التخاطب بالعربية ، اذ افرز هذا الاستقراء مستويين من الخطاب

الاول يتمثل باللغة العربية المشتركة وهي اللغة التامة والثاني بمستوى اللهجات العربية ، فقد اعتمد هؤلاء العلماء على هذا التاسيس في وصف انماط الخطاب ، اقصد معيار اللغة التامة .

وقد وجدنا قياساتهم وترجيحاتهم مصحوبة بالتعليل والتحليل -احيانا – ووجدنا بعضهم يتشدد في اعتماده على هذه الضوابط حرصا على سلامة العربية الفصحى ، أما الاخر فقد اعتمد على هذه الضوابط من دون اهمال لما سواها من مستويات التخاطب المتمثلة باللهجات العربية كابن جني الذي قسم اللغات بحسب الشيوع والاستعمال مع تقديمه اللغة القياسية كثيرة الاستعمال وهي لغة القران الكريم وعدم اهماله اللغات الاخرى ، لانها تمثل نمطا لهجيا نطق به بعض العرب وان كان مستعملها مخطئا لاجود اللغتين ونقصد اللغة التامة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع :

- القران الكريم

١- أبو العباس المبرد واثره في علوم العربية : محمد عبد الخالق عضيمة – مكتبة الرشيد ، ط١ ٢- الإتقان في علوم القران : للسيوطي ، مراجعة وتدقيق : سعيد المندرة ، مؤسسة الكتب الثقافية

، ط١ – ١٩٩٦م .

٣- اصلاح المنطق : لابن السكيت ، تح : احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار

المعارف بمصر .

٤- الاصول في النحو: لابن السراج ، تح : عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف

- ١٩٧٣م.

٥- الاصول دراسة ابيستمولوجية الى الفكر اللغوي عند العرب : د – تمام حسان ، دار الشؤون

الثقافية العامة ، بغداد – ١٩٨٨م .

٦- الاضداد في كلام العرب : لابي الطيب اللغوي ، تح : عزة حسن ، دمشق – ١٩٦٣م.

٧- البحث الصوتي عند العرب : د ـ خليل ابراهيم العطية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣م

٨- البحر المحيط : لابي حيان الاندلسي ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د ٠ ت

٩- البيان والتدوين : للجاحظ ، تح : حسن السندوبي ، ط١ ـ ١٩٢٦م ٠

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس : للزّبيدي ، مطبعة حكومة الكويت ، مجموعة محققين ـ١٩٧٠م ٠

١١- تهذيب اللغة : للازهري ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم واخرون ، الدار المصرية للتاريخ ، القاهرة ـ د ٠ ت ٠

١٢- توطئة لدراسة اللغة (التعاريف)، د ـ التهامي الراجي الهاشمي ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ـ ١٩٨٦م ٠

١٣- جمهرة اللغة : لابن دريد ، تح : رمزي منير بلبكي ، ط١ ، بيروت ـ ١٩٨٧م ٠

١٤- الخصائص : لابن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ٠

١٥- دراسات في فقه الغة : د ـ صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ ١٩٧٦م ٠

١٦- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د ـ حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨٠ م ٠

١٧- دروس في المذاهب النحوية : د ـ عبد الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ ١٩٨٠ م

١٨- شرح شافية ابن الحاجب : لرضي الدين الاستراباذي ، تح : محمد نور الحسن واخرون ، ط بيروت ـ ١٩٧٥م ٠

١٩- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها : لابن فارس ، تح : مصطفى الشويمي ،مؤسسة بدران ، بيروت ـ ١٩٦٣ م ٠

٢٠- طبقات النحويين واللغويين : للزبيدي ، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ـ ١٩٧٣ م ٠

٢١- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : د ـ صاحب ابو جناح ، مطابع جامعة الموصل، ط١ ـ ١٩٨٥ م ٠

٢٢- العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، تح : د ـ مهدي المخزومي و د ـ ابراهيم السامرائي ، دار الحرية ، بغداد ٠

٢٣- فصول في فقه اللغة : د ـ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ـ ١٩٨٠م٠

٢٤- فقه اللغة في الكتب العربية : د ـ عبد الراجحي ، دار النهضة ، بيروت ـ ١٩٧٩م

٢٥- الفلسفة اللغوية : جرجي زيدان ، دار الجيل بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٢م ٠

٢٦- في فقه اللغة وقضايا العربية : د ـ سميح ابو مغلي ، دار مجدلاوي للنشر ، ط١١ عمان ـ ١٩٨٧م ٠

٢٧- في اللهجات العربية : د ـ إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ٠

٢٨- القاموس المحيط : للفيروزابادي ، عالم الكتب ، بيروت ، د ٠ ت ٠

٢٩- كتاب اللغات في القران : رواية ابن حسنون المقريء بإسناده عن ابن عباس ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٢ ـ ١٩٧٢ ٠

٣٠- اللهجات العربية في التراث : د ـ احمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتب ، د ٠ ت

٣١- اللهجات العربية في القراءات القرانية : د ـ عبد الراجحي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ـ ١٩٩٩ م

٣٢- مجمل اللغة : لابن فارس ، تح : زهير عبد المحسن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ –٣٣- ١٩٨٦م .

٣٣-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : لابن جني ، تح : علي النجدي ناصيف وصاحبيه ، ط القاهرة – ١٣٨٦هـ .

٣٤- المحيط في اللغة : للصاحب ابن إسماعيل بن عباد ، تح : محمد حسن الياسين ، عالم الكتب

٣٥- المخصص : لعلي بن اسماعيل بن سيدة ، المكتب التجاري للنشر ، بيروت ، ط٢ – ١٩٨٦م

٣٦- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : د – مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي، بيروت ، ط٢ – ١٩٨٦م .

٣٧- المزهر في علوم اللغة وانواعها : للسيوطي ، تح : احمد جاد المولى واخرون ، دار الجيل ، بيروت .

٣٨- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا : د – محمد توفيق شاهين ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، ط١– ١٩٨٠ م .

٣٩- المعجم العربي نشاته وتطوره : د – حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ط٢ – ١٩٦٨م .

٤٠- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس ، تح : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، قم – ايران ، د . ت .

٤١- المقتضب : لابي العباس المبرد ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت.

٤٢- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د – علي عبد الحسين زوين، ط١ - م١٩٨٦ .

٤٣- الموشح مآخذ العلماء على الشعراء : للمرزباني ، تح : علي محمد البجاوي ، دار النهضة مصر – ١٩٦٥م.

٤٤- النوادر في اللغة : لابي زيد الانصاري ، ط٢ – ١٩٧٦ م .

الهوامش :

١- ينظر: في اللهجات العربية د – ابراهيم انيس / ٣٣- ٣٥

٢- ينظر : الصاحبي لابن فارس / ٣٤ والمزهر ٢/ ٣٤١ والاتقان ١ / ١٢٩ للسيوطي

٣- ينظر : فقه اللغة في الكتب العربية د – عبدة الراجحي / ١٢٠

٤- ينظر : في اللهجات العربية / ٥٧

٥- ينظر : للهجات العربية في القرآت القرانية د – عبدة الراجحي / ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٢

٦- اللهجات العربية في القراءات القرآنية / ١٠٢

٧- ينظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو د – مهدي المخزومي / ٥٠

٨- الكتاب : ٥٥٥/٣ ، ولمزيد من التفصيل ينظر : ابو العباس المبرد واثره في علوم العربية

للاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة / ٢٩٨

٩- ينظر : البحر المحيط لابي حيان ٦ / ١١٧

١٠- ينظر : المصدر نفسه ١٥٨/٣

١١- لمعرفة المزيد في هذا الباب ينظر : مدرسة الكوفة / ٥١ – ٦١ و ابو العباس المبرد وآثاره في علوم العربية / ٢٩٣ – ٣٠٦

١٢- شرح شافية الرضي : ٣٥/٣

١٣- تنظر : تفاصيل ذلك في الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري د – صاحب ابو جناح/ ١٠٩

١٤- ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرانية / ١٠٦

١٥- المحتسب لابن جني : ١ / ٢

١٦- المصدر نفسه

١٧- نفسه ١ / ٣

١٨- الاقتراح للسيوطي / ١٧

١٩- اصلاح المنطق لابن السكيت / ٤١

٢٠- المصدر نفسه / ٦١

٢١- نفسه / ٦١

٢٢- يمكن الرجوع للكتب المتخصصة بهذا الباب ، ومنها : اللهجات العربية في القراءات القرانية للدكتور عبدة الراجحي : لمعرفة المزيد وتحصيل المصادر التي اعتمدت في هذا الباب

٢٣- ينظر : كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون ، مقدمة المحقق / ٨ ، ٩

٢٤- ينظر : مدرسة الكوفة / ٥٢، ٥٣

٢٥- ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرانية / ٦٠

٢٦- المصدر نفسه وينظر : جمهرة ابن دريد / (نقع) و(مت)

٢٧- الكتاب : ٢٥٢/١ وينظر على سبيل المثال ٢/ ٢٧ و ٩٣/٤ و منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث د – علي زوين / ١٩ ، ٢٠ وللاستزادة من هذا الباب ينظر : اللهجات في معجمات القرن الرابع – رسالة دكتورا : ٧ - ٢٠

٢٨- المجمل : (ل ، ع ، ن)

٢٩- التهذيب : (ف ، و ، ز)

٣٠ – العين : (ح ، ب)

٣١- ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية د – حسام النعيمي / ٢٧

٣٢- العين : (ط ، غ ، و)

٣٣- المصدر نفسه : (ع ، م ، ق)

٣٤- التهذيب في اللغة : للازهري والمحيط للصاحب ابن عباد (ع ، ط ، س)

٣٥- تاج العروس للزبيدي : (م ، ض ، ن)

٣٦- القاموس المحيط للفيروزابادي والتاج : (د ، ر ، ب ، خ)

٣٧- المحيط : (هـ ، ج ، و)

٣٨- التهذيب : (ع ، ف)

٣٩- المجمل : (و ، ق ، ز)

٤٠- التهذيب : (ع ، ض ، د)

٤١- المحيط : (س ، ب ، ع)

٤٢- جمهرة : (ص ، ف ، ص ، ف)

٤٣- المقاييس لابن فارس : (ر ، ز ، ق)

٤٤- المجمل : (ق ، و ، م)

٤٥- المحيط : (س ، ب ، ع)

٤٦- التهذيب : (ع ، ض ، د)

٤٧- المحيط : (ض ، م ، أ)

٤٨- المقاييس : (ف ، ض ، ل)

٤٩- التهذيب : (د ، ر ، ك ، ل)

٥٠- ينظر : المعجم العربي نشاته وتطوره د- حسين نصار ٢٥٦/١

٥١- ينظر: القراءات القرانية في اللهجات العربية / ٦٤

٥٢- ينظر : المقاييس مقدمة المحقق ومادة (أ ، ت ، ى) على سبيل المثال

٥٣- المقاييس : (د ، ظ)

٥٤- العين : (د ، ظ)

٥٥- ينظر : المقاييس : مقدمة المحقق ١/ ٣٩

٥٦- المقاييس : (ت ، ل ، م)

٥٧- العين : (ت ، ل : م)

٥٨ – ينظر : الخليل في معجم مقاييس اللغة / توثيق ودراسة – رسالة ماجستير : كاظم فضيل شاهر

٥٩- ينظر:المعجم العربي نشاته وتطوره ١/ ٨١

٦٠- اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ٦٤

٦١- ينظر : المخصص لابن سيدة ٢٥٩/١٣

٦٢- ينظر : فصول في فقه اللغة د – رمضان عبد التواب / ٣٢٥ ودراسات في فقه اللغة د- صبحي الصالح / ٣٠٣

٦٣- ينظر : المشترك اللغوي نظريا وتطبيقا : د – محمد توفيق شاهين / ٥٥

٦٤- اضداد ابي الطيب : ١ / ٢٤٦

٦٥- ينظر : اصلاح المنطق : المقدمة / ١٢

٦٦- المصدر نفسه / ٣٠ ، ٣١

٦٧- ينظر : توطئه لدراسة علم اللغة د- الراجي الهاشمي / ٢٤ ، ٢٥

٦٨- ينظر : الكتاب ١ / ٤٤

٦٩- ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٥٨

٧٠- ينظر : المقتضب للمبرد : ١ / ٤١٢ وللمزيد ينظر : ابو العباس المبرد واثره في العلوم العربية / ٥١ – ٥٥

٧١- ينظر : مدرسة الكوفة / ٣٧٦ – ٣٨٩

٧٢- نوادر ابي زيد : المقدمة / ١

٧٣- المصدر نفسه / ٢٩ وللمزيد ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرانية / ٦٦ ، ٦٧

٧٤- مجمع الامثال للميداني ١ / ٤٥ وينظر : اللهجات العربية في القراءات القرانية / ٦٧

٧٥- الصحاح (ب ، ر ، أ)

٧٦- المجمل : (د ، ع ، و)

٧٧- التهذيب : (هـ ، و ، ن)

٧٨- الكتاب : ١ / ٥٧

٧٩- العين : (س ، ر ، ح)

٨٠ الجمهرة : (س ، ر ، ح)

٨١ : المقاييس : (س ، ج ، د)

٨٢- الاقتراح للسيوطي :٥٦ ، ٥٧

٨٣- الاصول : د – تمام حسان / ٦٠

٨٤- ينظر: الاتقان للسيوطي ١٣٣/١ ، ١٣٤

٨٥- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ٨١

٨٦- ينظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي / ٣٢ والاصول د – تمام حسان / ٣٣

٨٧- ينظر : البيان والتبيين للجاحظ ١ / ١١٦

٨٨- طبقات النحويين واللغويين /٣٢

٨٩- الخصائص : ١ / ٧٤

٩٠- ينظر : الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري نقلا عن مصدر باسم نثر الدرر لابي سعيد الابي ٧ / ٧٦٥

٩١-الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري /٥٠

٩٢- ينظر : هذا البحث / ٩

٩٣- ينظر : الموشح للمرزباني / ١٠٤

٩٤- الخصائص ٣/ ٢٩٦، ٢٩٧

٩٥- ينظر : المزهر ٢/ ٤٠٧

٩٦- ينظر: المخصص ٤ / ١٧١

٩٧- اللهجات العربية في القراءات القرانية / ١٥٧

٩٨- الكتاب :٤/٥٧،٥٦

٩٩- نوادر ابي زيد / ١

١٠٠- المزهر ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨

١٠١ – المصدر نفسه ٢ / ٣٧٣ وينظر : دروس في المذاهب النحوية د – عبدة الراجحي / ٩٠

١٠٢- ينظر : الاصول د – تمام حسان / ٣٣- ٤٤

١٠٣- العين : (ع ، ن)

١٠٤ - الكتاب : ٢ / ٢٠٥

١٠٥- الاصول لابن السراج ١/ ٤١٨

١٠٦- المقاييس : (ب ، ق ،ى) وينظر : العين / المادة نفسها

١٠٧ – ينظر: في البحث الصوتي عند العرب د – خليل ابراهيم العطيه / ٧٥ ، ٧٦

١٠٨ – العين : (ع ، م ، ق)

١٠٩- ينظر : الفلسفة اللغوية : جرجي زيدان / ٣٣ ، ٣٤

١١٠- العين : (ض ، ع ، ف)

١١١- الكتاب ٢/٢٩٥

١١٢- المخصص ٨ / ٦٢

١١٣- العين : (ذ ، ع ، ق)

١١٤- المصدر نفسه : (ع ، ل ، و)

١١٥- ينظر : المصدر نفسه : (ع ، ل : و)

١١٦- ينظر: فقه اللغة والقضايا العربية د- سميح أبو مغلي / ١٩١

١١٧- الخصائص ٣٧٢/١

١١٨- المصدر نفسه ١٥/٢، ١٦

١١٩- ينظر : اللهجات العربية في التراث د – علم الدين الجندي ٤٤٣/١

١٢٠- الخصائص ١٦/٢

١٢١- ينظر : البحث الصوتي عند العرب / ٧٥

١٢٢- الخصائص ١٢/٢

١٢٣- المصدر نفسه ١٠/٢ وينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ٨٣

١٢٤- الخصائص ١٢٥/١ والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ٨٣

١٢٥- الخصائص ١/١٢٥ والدراسات اللهجية والصوتية / ٨٤

١٢٦- الخصائص ٢/١٠

١٢٧- المصدر نفسه ٢/١٢

١٢٨- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ٨٥

Abstract:

Old linguists Attitudes towards Dialects

This research has the attitude of old linguists concerning the term Dialects and which divided into three researches :

The first , was titled : between dialects and Quran , Briefly I showed in it the situation of tactic longuage and dialects before and after Islam and reaching to the period that readings expressed that dialects and reflected the dialect level .

I stood on the opinion of linguists specially the grammarians about these readings in which it came to the truth that those scientists in their were al most depending on Quran readings in their dicipline except what differs their ways which they put in away that they made it weak and returned it to the degree that most of readings not frequent .

The second research has has the way of those linguists in listing down dialects , putting and settributing it to their owners place and and its state . That whak we kmew with lighists specially lexicographers , grammarians and liteary and who wrote in proverbs and rare .

The third research represents the demand of the main research and the goal which it has to achieve it if reflects after it description with analysis , giring cciuses , preference measurement which dominate the most area of this research . and Good is the helper .